

ان نبحث عن تاريخ الطباعة في ديار العراق التي هي من صميم البلاد العربية وعلى ذلك نبتدى اولاً بتاريخ الطباعة في بغداد لانها قاعدة العراق وقلبه الحقيقي
ابراهيم حلمي

✽ افكار الغربيين نحونا ✽

Une autre Mecque

لا ينكر احد من الذين نور الله بصائرهم بنور الهدى ان للغربيين على الشرقيين يداً بيضاء لا تقوم بشكرها الا لسن . كيف لا ونرى الشرقي المدرب متى حاول كتابة شيء عن الشرق وابناؤه بل عن قطره نفسه لا يقدر ان يفي الموضوع حقه بدون ان يراجع الكتب التي كتبها الا فرنجي في موضوعه ويشرف عليه أتم الاشراف .

والسبب الذي يجعل الشرقي مفقراً الى الغربي هو ما تعود من المبالغة في اكثر الاشياء التي يكتب عنها حتى ان المبالغة فيها ربما جاءت اضعاف الاضعاف . او هو خلوه من استقصاء الاخبار ، وتام ما يتعلق بها .

وبما ان الغربيين قد جملوا على نبد المبالغة . وعلى تحري الحقائق مع البحث والتنقيب عنها بكل سعة وافرغ . تراهم ينكبون لها مشاق يقف دونها الهام المقدم عاجزاً . بل تراهم غير هيايين ولا مبالين بصرف المصاريف الباهظة والمخاطرة بنفوسهم ونفائسهم . وهم مع كل ذلك لا يألون جهداً في السعي وراء خالصاتهم المنشودة .

هذا ومع حرصهم على تدوين الحقائق تراهم يخطئون في بعض ما يكتبون خطأ

بيننا خصوصاً في كتاباتهم التي تختص بالذاهب والاديان. وقد يذرم المنصف العارف بعوائد الشرقيين واخلاقهم لان ثمة سراً لا يقدر ان يطلع عليه غير الشرقي نفسه وسببه جهله الفاشي بين اظهر اصحابه فشواً فاحشاً سيما العراقيين منهم. فالعراقيون يخلطون الواجب بالمستحب، والحلال بالحرام، والاصل بالفرع، والفرع بالبدعة، والبدعة بالعادة، والعادة بالخرافة، ويعتبرون الجميع من اصل واحد. وينسبونها كلها الى صدر الاسلام. وربما يعزونها الى النبي «صلم» الى صحابته الكرام «رض» بلا سند ولا دليل. واذا اعترض عليهم معترض كفروه في الحال ونسبوه الى الزندقة والاحاد. والاسلام براء مما يزعمون.

اذا سأل الغربي الذي لا يعرف من الشرقيين الا صورهم واسماءهم وازياءهم سوءاً يوجهه الى العراقي ليستخبره عن عمل رآه يعمل او يقوم بواجب: هل هذا من اصل الدين او فرعه او بدعة ابتدعها احد المسلمين او عادة تعودها العراقيون من القديم. فلا يجيبه الا بعكس ماسأله وغير ما قصده ظناً منه انه اذا اوهمه بالجواب واضله بالكلام. لا يحصل ذلك على نتيجة منه فيرجع حينئذ بخفي حنين. وذلك لاعتماد بعض الجامدين حرمة كشف استار الدين للرجل الذي ليس من المسلمين. او تعصباً منه لفرقة حتى على الفرقة التي تناوبها من فرق المسلمين انفسهم. واحذراً من الانتقاد او وقوعاً لسوء تفاهم بين السائل والمسؤول.

فاذا سمع الغربي هذا الجواب، دونه في دهبوان رحلته وجعله غاية سوء له. واخذ بعدئذ بتعليق حواشٍ وتفسير عليه. ظناً منه انه لم يرو له الا الصحيح.

لما تعود من صدق للهجة وحرية الضمير في ابناء قومه ولم يدر « شتان بين مشرق ومغرب »

والذي حداني على كتابة هذه الاسطر هو ما كتبتة مجلة الاستراسبون الباريسية من مقالة تحت عنوان « مكة الثانية » على رواية رجل غربي اقام في كربلاء مدة . ولما كان الكاتب والراوي قد اخطأاً فيما كتب في عدة مواضع من المقالة نفسها ، احببت نشرها لاعتلق عليها بعض الحواشي ايضاحاً لما التبس عليها واصلاحاً لخطئيهما . لان المقالة تمس الفرقة التي انا منها ولان اهل مكة ادرى بشعائرها ، واليك المقالة برمتها معربة بقلم صاحب المجلة . قال الكاتب :

لقد استفاض بين الناس ان دين محمد لا يميل بمومنيه الى آراء الحرية ومع ذلك نرى مسلمين كثيرين ، ومن اشد هم تمسكا بدينهم يخالطون الكفار ويصادقونهم ، وربما اتصلت قلوبهم بقلوب خلطائهم اتصالاً لا شبهة فيه . ولقد اثبتت حوادث بلاد الدولة العثمانية الحديثة ان ايمان المسلمين او معتقدهم ليس من العقبات الكؤودة التي تحول دون التقدم والرفق وقبول بعض الآراء الحديثة . وكما ان للفضيلة درجات فللتعصب ايضاً طبقات ومما يكن من هذا الامر فان وجد بعض المسلمين يوجهون حسن التفاتهم الى النصارى ، ولا يظهرون اشمئزازهم من اليهود فاعلم يقيناً ان اولئك المحمديين هم سنيون . فتقواهم السحرة ، وحسن ملاطفتهم لمن كانوا على غير دينهم ، والانس بين جاورهم وخاذلهم ، يقابله عند الشيعة التعصب الشديد الذي ليس وراءه تعصب .

ويرتقي اصل هذه الفرقة الى الحسين «١» الابن الثاني لابي بن ابي طالب،
صهر محمد، والى واقعة محزنة دموية وقعت سنة ٦١ من الهجرة ٦٨٠٠
للميلاد، في العراق العربي اي في ديار بابل القديمة .

بعد وفاة علي بن ابي طالب ثارت مباحثات شديدة، واحتدمت نيرانها
بين خليفة المسلمين، رئيس السلطة الزمنية، «٢» وبين الائمة العلويين الذين كانوا
يقولون انه يحق لهم تدبير كل امر في ما يتعلق بالدينيات، «٣» فلما انتقلت الامامة الى

(١) يرتقي اصل الشيعة الى عهد رسول الله . قال الخنصاري في روضات الجنات
ص ٨٨ طبع ايران في ترجمة ابن خلكان : . . . وفي ترميزات العلوم ان الشيعة
هم الذين شايخوا عليا وقالوا انه امام بعد رسول الله . . . وفي كثر اللغة ان الشيعة
المدلية غير السنة . . . وكان يختص بهذه التسمية اولا سلمان الفارسي وابودر
الفزازي ومقداد بن الاسود وعمار بن ياسر في عهد رسول الله للازمتهم خدمته امير
المؤمنين (يعني علياً) . . . ثم توسع في لقب من كان يحدو حدوهم في ذلك بها بعد .
بل من كان يوالي عليا ويقول بخلافته للرسول بلافضل وان لم يقل بالائمة الاثنى عشر
جميعاً فيكون حينئذ امامياً ايضاً او داخلياً في جملة الاثنى عشرية الخاصة من الشيعة . اه
ونقل نحو هذا الكلام ابو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠ هـ في الجزء الثالث من
كتاب الزينة في باب تفسير الالفاظ المتداولة بين ارباب العلوم . وابن النديم في الفهرست ١٧٥

(٢) هو يزيد بن معاوية بن ابي سفيان .

(٣) ليس في الدينيات فقط بل في تدبير كل امور البشر وما يعتقده الشيعة انفسهم
انه لو اخلت الارض من واحد من الائمة الاثنى عشر الذين هم من ولد علي وفاطمة
لا دامت الدنيا طرفه عين . وهؤلاء الائمة هم (علي بن ابي طالب فابنه الحسن
السيط) فابنه الثاني الحسين (الشهيد) فابنه علي بن الحسين (زين العابدين او السجاد)
فابنه محمد بن علي (الباقر) فابنه جعفر بن محمد (الصادق) فابنه موسى بن جعفر
(الكاظم) فابنه علي بن موسى (ارضا) فابنه محمد بن علي (الجواد) فابنه علي بن
محمد (الهادي) فابنه الحسن بن علي (المهدي) فابنه محمد بن الحسن (صاحب الزمان)
عليهم السلام .

ولهذا يعتقده الشيعة بوجود صاحب الزمان حياً وبانه يراعي امور البشر واحكام
الدين حتى لو زال من الدنيا لقامت الساعة وهو سوف يظهر للبيان ولو بعد حين وبمحكم
في الناس ويوحّد الاديان ويرفع الظلم من الارض . وللسنة والشيعة احاديث كثيرة
في علامات ظهوره .

الحسين، واصبح راس العلويين، هجر المدينة طالباً الكوفة تخلصاً من قبضة الخليفة. وكانت الكوفة يومئذ حاضرة العراق العربي وأمه، وفيها من محبي العلويين جماعة دعه اليها. وبينما كان يسير في طريقه اذ نجبل حزبه انتكث. وذلك انه بمث مسلم بن عقيل ابن عمه بمنزلة رئيس للكوفيين واذا بجمع غدروه وقتلوه. وفي ٣ من الشهر المحرم وصل الامام الى كربلاء ولم يكن يعرف ما وقع من الحياة والغدر بمسلم فنجيم مع قافلته على شز هناك وما كاد يستقر الا وفاجأه جيش زحف ليهم عليه. فقاسى العلويون مدة اسبوع من العذابات مالا يصفه واصف ولا سيما الجوع والعطش وفي اليوم العاشر من الشهر المذكور وهو يوم عاشوراء قتل من تلك الزمرة كل من لم يميت في تلك المدة وكان عدد المتوفين جملة ١٨ شخصاً من اهل البيت و٧٢ من كانوا برفقته. واما النساء فاخذن الى دمشق الشام.

وبعد وفاة هؤلاء المظلومين، نبت في تلك الصحراء ازهار روايات واحاديث مختلفة سقتها دماء الشهداء. وغدت مذبحة كربلاء «ومعنى كربلاء محل الحب «كذا» مرادفة للحرقة الصادقة في لغة جميع محبي هؤلاء الشهداء. واصبح الحسين نوعاً من المسيح، وقد ذبح افداء الناس في الزمن الذي اتى فيه لينقل اليهم كلام الحياة. ومن الاحاديث الروية عند الشيعة ان جبريل اخبر محمداً ومحمداً ابناً فاطمة الزهراء ابنته بان الامر ينتهي باحد ابنائها على هذا الوجه وبان قبره يشتهر كل الشهرة في الدنيا كلها. وبنى حوله مدينة تكون بهيمة السمعة. ولقد تم الامر طبقاً للنبوة.

فان احد الصحابة واسمه جابر «٤» جاء بعد ٤٠ يوماً من وقوع تلك المذبحة الهائلة ليكرم قبر الامام الشهيد . لان محمداً كان قد قال له : « ان الحسين يقتل ويدفن في كربلاء وبعد ٤٠ يوماً تبدأ زيارة قبره » فكانت زيارة جابر اول زيارة « ٥ » لهذه التربة . ومنذ ذلك الحين بدأ تاريخ تأسيس كربلاء « ٦ »

(٤) هو جابر بن عبد الله الانصاري .

(٥) وفي اليوم تسمى زيارة الاربعين . والبعض يسميها زيارة مرد الرأس وذلك لان في اليوم الذي زار جابر قبر الحسين كان عود رأس الحسين من الشام بصحبة علي ابنه واهل بيته الذين اخذوا اسرى الى الشام . وكان مرد الرأس الى البدن في ذلك اليوم . فسميت ايضاً بزيارة مرد الرأس كما سميت بزيارة الاربعين .

ولهذا اليوم خطبه او زيارة مخصوصة بالحسين تقرأ عند قبره او عند مشاهد الاثمة الاثني عشر او الامكنة المقدسة اولها : « السلام عليكم يا آل الله الخ » ويتصل سند هذه الخطبة او الزيارة بجابر ويحضر بن محمد الصادق ايضاً . راجع مفتاح الجنان في الزيارات والادعية ص ٣٩٨ — ٤٠٢ طبع بمبى .

(٦) يرتقى تأسيس كربلاء او قبر الحسين الى ايام قتل الحسين . قال جعفر بن قولويه في كتابه كمال الزيارة وهو غير مطبوع من حديث طويل ما نصه : « ... ان الذين دفنوا اقاموا رسماً لقبره (يعني الحسين) ونصبوا له علماً [اى علامة] وبناء لا يدرس اثره » وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور عن ابي حمزة الثمالي (المتوفى في عهد المنصور) عن ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ما نصه : « ... فاذا آتيت الباب الذي على الشرق فتقف على الباب وقول : « ثم تخرج من السقيفة وتقف بجذاء قبور الشهداء الخ » اه وقد ذكر نحو هذا المعنى المجلس في المجلد ٢٢ من البحار ٨٠ — ١٠٢ طبع ايران ، والسيد ابن طاووس في اقبال الاعمال صفحة ٢٨ طبع ايران وغيرهما . فمن هذا يظهر ان له باباً شرقياً وغريباً . وقال محمد بن ابي طالب في كتابه تسليمة المجالس وزيارة المجالس [وهو غير مطبوع] هـ ذكره لمشهد الحسين ع ما نصه : « ... وكان قد بنى عليه مسجد ولم يزل كذلك بعد بنى امية . وفي زمن بنى العباس الاعلى زمن الرشيد فانه خربه وقطع السدرة وكرب موضع القبر ثم اعيد على زمن المأمون وغيره الى ان حكم المتوكل من بنى العباس ... فاسر بغريب قبر الحسين وقبور صحابه وكرب مواضعها واجرى الماء عليها ... الى ان قتل المتوكل وقام بالامر بعده ابنه المنتصر فعطف على آل ابي طالب ... وعاد القبور في ايامه » اه اما بناء الدور حوله فقد كان قبل ايام المتوكل . راجع تاريخ ابن الاثير : سنة ٢٣٦ جزء ٧ صفحة ١٨ طبع مصر

اما اليوم فان هذه المدينة اصبحت مقدس الشيعة ومحجهم بل مكتمهم
الثانية «٧» وهم يعمونها عن غير المسلمين اكثر مما يعمون مكة عنهم، ويدافعون
عن حرمها اكثر مما يدافعون عن حرم مكة. وان كان في مكة الكعبة
وفي الكعبة الحجر الاسود .

ولقد بقيت كربلاء بعيدة عن كل انحاء . واننا لنظن ان احسن ما
كتب في كربلاء من المقالات هو ما ادرج في جريدة الطان «الفرنسية»
في نحو اواخر سنة ١٩٠٧ واول سنة ١٩٠٨ ولم يسبقها سابق قبل ذلك
المهدي تلك اللغة . بل ولم يكتب عن الارجاء المجاورة لها قبل ذلك الاوان
اما مكاتبنا الفاضل المختفي عنا باسم «المنصور» المستعار، فانه دخل
حرم كربلاء وقد توصلنا بواسطته الى نشر رسوم داخل الصحن وكل ما
يتعلق به ورسوم سائر مساجد مدينة كربلاء مع صور الزوار والمواكب
الحافلة التي رآها ، كما فعل سابقاً فنشر في عدد ٧ ت ٢ من مجلتنا رسوم
قلب مكة وما فيها . المقالة مصورة في الاصل .

كربلاء جالسة تحت ظل النخل الوارف، بل راحة الحسينية نهر منفرع
من الفرات، ذلك الفرات الذي كانت قد نصبت عليه بابل، عرشها ازائل
وقبل ان تصل المدينة ترى عن بعد من فوق رؤوس النخل والغرب

واي الفداء جزء ٢ صفحة ٢٨ طبع مصر . وفوات الوفيات صفحته ١٠٤ وامالي
الطوسي صفحة ٢٠٣ — ٢٠٩ طبع ايران .

(٧) ليس في الشيعة من يعتقد ان زيارة كربلاء فريضة كاللحج كلا ولا يعمون حرم
كربلاء عن غير المسلمين اكثر من حمايتهم لحرم مكة وكيف يكون كذلك وكربلاء ايت
من المساجد الاربعة (وهي مسجد مكة، والمدينة، وبيت المقدس، والكوفة) التي
تضاعف فيها الصلوة الى الف الف ضعف والى عشرة الاف ضعف والى الف ضعف .

والصفصاف وسائر الاشجار قبب صحنها القاشابة ٨٠ « الأجر الثلاثة في الشمس ، وما آذنها المفشاة بغلالة من الذهب الابريز وهذان الصحنان هما صحننا الامام الحسين والامام العباس اخ الحسين من أبيه وأحد اصحابه المنكوبين . وكل من هذين الصحنين قائم في الوطن الذي قتل فيه صاحب الامام الشهيد وخص به .

في كل سنة ينسل الى هاتين الترتبتين من كل حذب وصوب زرافات زرافات من ابناء الشيعة قادمين اليهما من ديار العجم والهند وكوه قاف « قفقاز » والبلاد القاصية من قلب اسبانية حيث يكثّر الشيعة . وكر بلاء بدون الزوار مدينة فارغة ، بل لولا الزوار لا بقيت هذه المدينة الى يومنا هذا . وفي الايام التي لا يفد اليها الزوار - والزيارة تدوم بحجبة السنة تقريبا وتبطل « ٩ » شيئاً في ايام الباحوراء فقط - نرى كربلاء خامدة ليس فيها الا ١٥٠٠ « ١٠ » نسمة في الاكثر . وقد اخذهم النعاس فوق سطوحهم المتظلمة بالخل .

(٨) قبب حرمها لاصحتها لان الصحن مكشوف لبس له سقف . وقبة حرم الحسين مفشاة من اسفلها الى اعلاها بالذهب وفي محيطها من الاسفل ١٢ شباكاً عرض كل شباك متر واحد من الداخل ومتر ٣٠ سنتيمتراً من الخارج وبين شباك وشباك متر ٢٥ سنتيمتراً من الداخل ومتر ونصف متر من الخارج ويبلغ ارتفاع القبة من اسفلها (اي من سطح الحرم) الى اعلاها قراب ١٥ متراً وكانت تنفثها بالذهب على نفقة ناصر الدين شاه وذلك سنة ١٢٧٣ - ١٨٥٦ كما هو مكتوب على حائطها فوق الشبايك المذكورة بـطر من ذهب فيه بعض الآيات .

(٩) لا تبطل الزيارة ايام الباحوراء ولا يثني الناس عنها وخصوصاً الاقربين حر ولا يرد واشهر الزيارات المخصوصة اشهر قرية قربها انفتحت الزيارة في حمارة انعطت او في صبارة الشتاء .

(١٠) الاحصاء الذي ذكره اقل من الحقيقة بكثير فان سكان كربلاء انفسهم نحو ١٥٠٠ الف نسمة على الاقل فكربلاء بدون الزوار ليست مدينة فارغة بل متموجة بالسكان ولكن يشتد الزحام فيها ايام الزيارات وربما ضمت في تلك الايام مائتي الف نسمة من اخلاط الناس .

واذا اردت ان تعرف نقي الشيعة على مدى القرون ، اذهب وانظر
 ذنبك الصحنين وسائر مساجد « ١١ » . كربلاء نرها مزدانة بالفخر مايجود به
 الحب والدين . فان حيطانها مثلاً مغطاة بالاجر المطلي بالقاشاني الملون
 بالالوان الزاهية العجيب الصنع حتى انك لتقول : انه لا يمكن للانسان ان
 يحلم ببناء افخر مما يرى هناك . ففي جوانب الابواب سهوات محكمة البناء
 بديعة الشكل على هيئة التخاريف ، مرصعة بقطع من المراني ناخذ بجمع
 القلوب . ونرى الابواب مقوسة اقواساً فائقة الحسن ، نكاد تنطبق على
 نفسها انطباقاً ، وكلها مخزومة ، وتختارها من الطاباق الغريب القطع والنحت
 والحفر ، وهذا ولا يمكننا ان نفعل عن ذكر العمد الرشيقة القد المخذة من
 الخشب الفاخر ، وهي تدعم ابناء الذي يطوف بالحرم ابدع طواف .
 وهل من مذخر احسن من هذا المذخر . وهل لا يكون الاً دون ما
 يجدر برفات الامام الذي اصبح لجماعة الشيعة مخلصاً وفادياً ؟

وفي اقصى الحرم مصطبة نفيسة تحتها رجم الامام ، والمصطبة بديعة النقش
 والحفر ، عجيبة الصنع والتلوين ، ترى من وراء مشبك من الشبه « ١٢ »

(١١) ليس في كربلاء مساجد يقصده الشيعة او يتعبدون فيها سوى مسجد
 الحسين والعباس واما المساجد العادية فهي موجودة في كل بلد عاصراً فلا معنى لذكر
 الكتاب ايها .

(١٢) ليس من الشبه بل من الفضة الناصعة وهو ذو اربعة اركان وفي جانب
 الطول منه ٥ شبايك وفي العرض ٤ شبايك وعرض كل شبك منها ٨٠ سنتيمتراً
 ويتفرع من وسط الجانب لشرقي منه مشبك صغير من الفضة ايضاً على ضريح ابنه علي
 الاكبر الذي قتل معه [وهو غير على زين العابدين او السجاد] وطول مشبك الاب
 ٥ امتار ونصف متر في عرض ٤ امتار ونصف متر وارتفاعه ٣ امتار ونصف متر وطول
 مشبك الابن متران و ٦٠ سنتيمتراً في عرض متر و ٤٠ سنتيمتراً وفي اعلى مشبك الحسين
 ١٦ آتية مستطيلة الشكل كلها من الذهب الابريز وفي كل ركن من المشبكين رمانة

المصمت، يظللها غشاء او سنا هو بساط فريد الصنع، بل تحفة من تحف العالم، حاكته طائفة من مهرة صناع الفرس، ولا يمكن ان يقدر له ثمن لبدع احكامه، وغرابة اتقانه. فهذا القبر هو غاية ما يرمي اليه الزوار الامامية. فاذا وصلوا كربلاء ودخلوا الحرم يدنون من هذا المشبك الملزوم ويمسكون به بعبادة وثقى، ثم يبسطون ايديهم ويصلون «١٣» صلاة حارة ثم يرجعون الى من حيث النوا والوجه باش منور من كثرة فرحم.

ان صحن الحسين وقبره يبقيان في كل زمن قريبي المثال خلافاً لكعبة مكة وزوار كربلاء يكثرون في الشهر المحرم «١٤» وهو الشهر الذي قتل فيه الامام واصحابه ولذا تراهم يتجمعون في تلك المدينة ويطلبون اليها من كل صوب فتأتي القوافل مئات مئات، وعليه يكون شهر المحرم شهر الصلوات والادعية والتوبة ١٥٠٠

فاذا جئت انت في ذلك الاوان ترى افنية الصحن ولا سيما فناء صحن

من الذهب يبلغ طولها قراب نصف متر . وسماء ذلك الحرم مغطاة بالمرآة المصماء عند اهل بغداد بلفظ تركي (عابنة) على شكل لا يقدر ان يصفه واصف .

(١٣) والاصح يدعون لان الصلوة عند المسلمين غير الدعاء والصلوة عندنا تكون في قيام وقعود وركوع وسجود بخلاف ذلك عند النصارى فانهم يطلقون اسم الصلوة على مجرد الدعاء .

(١٤) اكثر ما يجتمع لزوار في كربلاء في زيارة (عرفة) وهي في اليوم الذي يقف المسلمون على جبل عرفة في الحج، وذلك في ٩ من شهر ذي الحجة ولذلك اليوم في كربلاء خطبة او زيارة مخصوصة اولها : والله اكبر ... السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله الخ، راجع مفتاح الخزان من ص ٣٦٩ - ٣٧٤ (١٥) شهر الصلوة والادعية والتوبة شهر رمضان .

الحسين غاصاً بالمومنين، لان من اول فرائض «١٤» الزوار في كربلاء كما في مكة ان يذهبوا الى الحرم بعد الوضوء .

وبعد ان يصلوا صلاة اولى في فناء الصحن ١٥٠ . يكونون اهلاً لان يدخلوه امنين فيزدحمون فيه ازدحامهم على السعادة القصوى بهلاهل واصوات الفرع العظيمة وعلى رؤوسهم «١٦» العمام البيضاء اشارة الى بياض قلوبهم . اما الحجاج الذين حجوا مكة والسادة الذين ينتمون الى اهل البيت فانهم يعتمدون بالاخضر . وفي اغلب الاحايين تكون نسائهم معهم . وقد تحجبين اشد الحجاب «١٧» من قمة الراس الى اخص الرجل .

«١٤» ليس ذلك من فرائض الزوار بل هو عمل مستحب بخير المراء في تركه وعمله . بخلاف مكة لان الاعمال فيها تعد فرضاً واجباً ويماقب الله تاركها .
«١٥» ليس في فناء الصحن صلاة ولا دعاء كما يزعم الكاتب . بل الدعاء في باب الرواق الذي هو دون الحرم وله دعاء مخصوص اوله : (الله اكبر الخ) ثم بعد ثلاثة هذا الدعاء يدخل الرواق حتى اذا دنا من باب الحرم قرأ دعاء مخصوصاً ايضاً اوله (السلام عليك يا ابا عبد الله الخ) راجع مفتاح الجنان ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .
«١٦» ليس من ذلك شيء بل يدخلون على اختلاف ازيائهم كل على حسب عادته ولباسه المقتضى .

«١٧» اما نساء الاعراب فلا تحجبن البتة . ولو رأيت كيف يزور الاعراب يوم الزيارة لفضيت منهم مجباً فانهم يدخلون الحرم بحمس وشدة بأس بدون اذن ولادعاء ويطوفون حول الشباك وقد مسك واحد منهم بمنطقته الاخر فيكونون عند ذلك كالحلقة المستديرة التي لا يعرف طرفاها . وفي حالة وحشية ولهم ضجة وهويل . وغاية قصدهم ثم الشباك لانهم يعتقدون ان الذي لم يوفق اللهم الشباك غير زائر وايست زيارته مقبولة ولذا ترى اهل المدن اللطيفي الابدان لا يتقدرون على ان يدنوا من الشباك في ذلك اليوم لتراجم هؤلاء الاعراب ودفع بعضهم بعضاً .

وهم يعتزمون العباس اكثر من اخيه الحسين وذلك خوفاً لادينا لانهم يعتقدون ان الذي يستجف بحرمته ينقم منه في ساعته وربما قتله في مكانه ويقولون ان العباس سريع الغضب . ويلقبه بعضهم : بأبي الرأس الحار . ومعناه : بخاء المزاج سريع الغضب . والحسين امام معصوم حليم حق عليه ان يغفو .

من معتقد المسلمين ان المومن الذي يتمكن من ان يدفن في جوار مزار مدفون فيه احد الائمة او نسيب من انساب اهل البيت او واحد من الصحابة فان دخوله الجنة مضمون ويكون على الرحب والسعة. ولهذا السبب ترى في مسجد ائوب في الاسنانة امتداد تلك المقبرة التي تبتدى من الوادي حتى لتوغل اللال حيث تنتهي فيها. وترى بين تلك القبور العديدة غابة غيباء من السرو الاسود. وهكذا جرى الامر في كربلاء. فانك ترى المومنين في اقصى بلاد آسية يوجهون ادعيتهم الى الله لينعم عليهم ان يدفنوا بعد موثهم في جوار قبر الحسين ١٨٠. لينالوا شيئاً من الا.

ومن لطيف ما رأيت انما من احدثهم في حرم العباس مرة هو انه كان لرجل اصحاب فتأخر عنهم في الطواف الكثرة الازدحام ثم لا علم ان صبيهم مضوا وتركوه خلفهم راكضاً من دون توديع الامام ولا تسليم عليه وفي اثناء ركضه عثر بعينه باب الحرم فتألم فالتفت الى الامام قائلاً له بهذا اللفظ (يهجم) تفتتح الباب مع الهاء وكسر الهم وسكون الهم ومنعناه تهجم بناؤك وبهي اترك. وهو لم يتصور انه يخاطب العباس فلما فطن بذلك بعد هينة على زجر احد خدم الامام له اعترف بذنبه وكر راجعاً متألف العمل، ومعتذراً من العباس. واخذ يخاطبه بهذا الخطاب (يا بعد اي وروي يا بعد وروي ما عرفتك ايش) معناه يا بعد اي وابي وروحي اغف عني لاني تكلمت بما تكلمت عن دون قصد وروية ولم ادر اني في حضرتك ثم لحق صبي راكضاً ايضا.

١٨٨ اغلب الدفن يكون في جوار قبر علي بن ابي طالب (ع) (اي في النجف) حتى من كربلاء نفسها ولا تكاد ترى واحداً يدفن في كربلاء من عشرة آلاف يدفون في ارض النجف ولذا تمتد ليوم مقبرة النجف واسمها وادي السلام الى مسافة يبلغ محيطها فوق ساعة ونصف ساعة وليس في مقبرة كربلاء الا ما يقرب من الف قبر. واذا نظرت من كبد البر الى مقبرة النجف وانت متجه اليها تظنها لاول نظرة بلداً آخر وذلك لما فيها من بناء القباب والبيوت على قبور المترين واذا سرحت الطرف بين تلك القبور الشبيهة بالقصور ورددت النظر مرة بعد اخرى لانتك فيها بانها مراقد لاولياء الله اولادهم المسلمين لا هالك من الابنية المشاة بالقاشاني الملون البديع الصنع وفي اكثر تلك القبور مواضع للصلاة وفي ساحاتها حدائق غناء وسقاية ورجال موظفون من قبل

امامته التي يجود بها على المخلصين له . وبالجملة فان كربلاء اصبحت اليوم مدفناً عاماً لجميع ابناء الشيعة المبثوثين في ديار الله كلها جمعاء .
ولولا ان الحكومة العثمانية تدارك الامر لاصبحت اليوم هذه المدينة مباءة الامراض الوافدة ، ومنبعث جرائم الادواء الويلة ، لان الجعفرية ينقلون الى هذه المدينة جميع الموتى ويجوسون بها الديار الملوثة بالابوثة او غير الملوثة . هذا فضلاً عن ان بين هؤلاء الموتى من توفوا بامراض معدية اشد العدوى . فتراكم تلك الجثث في ارض واحدة ، وفي موطن واحد من شأنه ان يجعل تلك البقعة من الارض منبت الوباء ، او منبعث الطاعون ، او منتشر الميضة على الدوام . ولقد عقد من نهمهم الصحة العمومية لجائاً عديدة لصد هجمات جيوش تلك الادواء السارية السريعة العدوى الشديدة الفتك واخذت مافي مكنها من الوسائل لتثييط فشو العدوى فضربت رسماً هو ٥٠ فرنكاً « ١٩ » على كل جثة تدخل كربلاء . ولو امكنها لمنعت الدفن بنائاً ، لكنّها تحترم عقائد الشيعة الوثيقة العرس ، او تخاف ان تثار ثائرة الفتنة والنصب فيقوم بوجهها ما لم يمر بخلدائها . ٢٠

ذرية القبور او اقاربه الوارثين له او من وقف وقته القبور نفسه عليه قبل موته وهم يخدمون ذلك الحبل ويعملون الماء اليه ويتلون القرآن على تلك القبور التي في ذلك البيت لان البيت الواحد ليس مخصوصاً بقبر واحد بل بعشرة الاقربين من القبور الاول وبين تلك القبور قبّة مبنية على مزارى نبي الله هود وصالح (ع) لا يصحاح يعرفها الرجل الا بديل يده عليها الحفارة بنائها ، ولا عليها من الغبار . وهي واقعة على بعد ٥٠٠ متر من سور البلد الى الشمال .
« ١٩ » ٥٠ قرشاً (جميعه) وقد رقت هذه الضريبة عن شعبة الدولة العثمانية وذلك من مدة سنة .

« ٢٠ » قدمت الحكومة النقل من الامكنة التي تبعد عن كربلاء والجحف وغيرهما من المشاهد غير صالحة في ايام الابوثة ولم يحدث ادنى حادث من الشيعة .

البتة . وهذا الرسم رسم الدفن بثمر للحكومة المحلية مبالغ طائلة ويمنع الفقراء (٢١) من ان يفكروا بان يدفنوا موتاهم في هذه البقعة الميمونة . اما الاغنياء الذين ورثوا الميت ، فان الاموال الطائلة التي وقعت اليهم بعد وفاته تحت الوارث الى ان يسرع في دفن جثة ذاك الذي جاد عليه بتلك المبالغ الجسيمة وحينئذ لا يستعظم اي مصرف ينفقه في وجه هذا العمل المبرور المألوم به . وهكذا نقل جثث اولئك الموتى من اقصى ديار اسية الى هذه الديار المجاورة لنهر الفرات المشهور في التاريخ .

فالدفنت الحافلة الشائقة كثيرة الوقوع اذا في كربلاء (٢٢) ولقد شهد صاحب هذه المقالة موكب دفن واحد من هنود الشيعة وائمة علمائهم القهول ، وكان قد نقل الى كربلاء بمبالغ باهظة من الاصفر الرنان . ولما دخل المدينة تابوت هذا الرجل الكبير قامت له كربلاء وكلها وذهب لاستقبال جثته عشرة الاف شخص (٢٣) وكان اهل البلدة قد ركزوا اعلاماً ورايات مختلفة اعظاماً للمصيبة . وكان الجمع يقف بجثته على كل خطوة يخطوها ليتلو الادعية او يسمعها . وطافوا بها حول الاسوار ودام الطواف ثلاث ساعات قبل ان يغفوا الصحن وهذا المتوفى الذي جاء من بعيد ليسند راسه الاسناد الاخير في كربلاء فاز بانعام سام وهو انه دفن في صحن الامام الحسين وبقي القراء يقرأون على قبره بالتناوب ليل نهار مدة شهر .

وقبلاً بتأدية حقوق الحقيقة نقول : ان المؤمنين القليلي التوفيق في

هذه الدنيا وجدوا لم طريقاً يتكبرون به عن القانون الذي سن للوتى فلا يحتاجون الى ان يؤدوا ما عليهم من رسوم المكس . وهذا الطريق لا يستحسنه علماء الصحة ولا يوافقون عليه . لكن لا يمكن للموظفين ان يشددوا فيه ويعسفوا خوفاً من ان يؤدى بهم هذا التشديد الى مالا تحمد ٢٤٥ عتباة فاذا فعل اهل العوز المتدينون الذين لا تمكنهم حالهم من تادية ما حتم على الدفن ؟ - انهم لجأوا الى وسائل تخفي جثة الميت على الموظفين بجباية المكس . فتارة يقطعون الميت ارباً ارباً ، وطوراً يطحنون عظامه حتى تغدو كالدقيق « ٢٥ » واخرى يجمعون تلك الاعضاء تحت ثيابهم التي يتسترون بها من الداخل . وبالجملة يستعملون وسائل لا تخطر على بال بشر ليتوصالوا الى ان يخلطوا رم الميت بالرمال التي تسفها ارياح كربلاء ٢٦٠ حتى يقال عنه انه احصي بين موتى تلك المدينة الحسينية . « البقية ثاني »

سوق الشيوخ

Note historique et géographique sur Souq - ech - Chioukh.

١ . موقع هذه المدينة وحدودها

قضاء سوق الشيوخ من مدن العراق الحديثة واقع على ضفة الفرات اليمنى قريباً من الدرجة ٣٠ عرضاً ونحو الدرجة ٤٤ طولاً من باريس وهو في جنوبي لواء المنتفق . - يحده شمالاً وشرقاً الفرات . وجنوباً وغرباً الصحراء الشامية وهو يبعد ٤٠ كيلو متراً عن الناصرية وهو تحتها

« ٢٤ » لو ارادوا لفعلوا . « ٢٥ » كذب صراح لاننا لم نشاهد ولم نسمع رجل طحن

عظام ميتة . وكذلك من العراقيين من اهل النجف وكربلاء نفسهما .

« ٢٦ » اعلم ان كل مجاه في المقالة من اسم كربلاء في ما يتعلق بالدفن فصديقه في النجف .